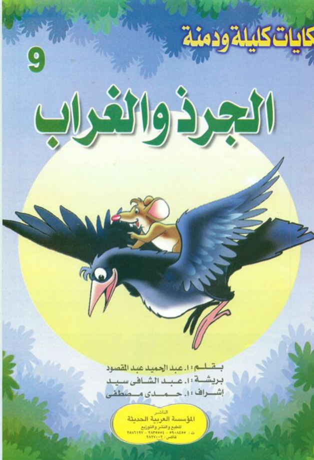


كايات كليلة ودمنة

9

الجرذ والغراب

بقلم: ا. عبد الحميد عبد المقصود
بريشة: ا. عبد الشافى سيد
إشراف: ا. حمدى مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس: ٢٨٢٧٠٠٢

الجرذ والغراب

لمَّا رَأى الْغُرابُ ما صَنَعَهُ الْجُرَذُ مع الحمامةِ الْمطوقَةِ وأصْدِقائِها منَ الْحمام ، وكيْفَ خلَّص الْجميعَ منْ أسْرِ الشَّبَكةِ ، أبْدَى إعجابَهُ الشَّديدَ بِالْجُرَذِ ، ورَغِبَ فى مُصَادَقتِهِ ..

ولذلك تقدَّمَ الْغُرابُ ، حتَّى وَقفَ قريبًا مِنْ فَتْحَةِ الْجُحْرِ الَّذى يَعيشُ فيه الْجُرَذُ .. ثُمَّ ناداهُ ..

وأطَلَّ الْجُرَذُ بِرَأْسِهِ ، فَلَمَّا رَأى الْغُرابَ واقِفًا أمامَهُ ، أبْدَى دَهْشَتَهُ قَائِلاً :

- مَنْ أنْتَ ؟ وماذا تُريدُ ؟!

فَقالَ الْغُرابُ :

- أنا واحِدٌ مُعْجَبٌ بِإخْلاصِكَ فى عَمَلِكَ ، ووَفائِكَ لأصْدِقائِكَ ، ولِذلك فَأنا أُريدُ مُصادَقَتَكَ ..

فَنَظَرَ إليه الْجُرَذُ مُتَشَكِّكًا وقَالَ :

ـ لَيْسَ بَيْنِى وبَيْنَكَ تَوَاصُلٌ ، حتَّى تَنْشَأَ بَيْنَنَا صَدَاقَةٌ ، كما تَزْعُمُ ..

فَقَالَ الْغُرَابُ مُسْتَنْكِرًا :

ـ ولِمَ ذلك ؟!

فَقَالَ الْجُرَذُ :

ـ لأَنَّ الْعاقِلَ يَجِبُ أَنْ يَسْعَى إلى ما يَجِدُ إليه سَبِيلاً ، ويَبْتَعِدَ عمَّا لا يَجِدُ إليه سَبِيلاً ، فَأَنْتَ الآكِلُ وأنا طَعَامٌ وصَيْدٌ سَهْلٌ لك .. لابُدَّ أنَّك تَحْتَالُ لِكَيْ تَأْكُلَنِى ..



فَتَعَجَّبَ الْغُرابُ مِنْ تَفكيرِ الْجُرَذِ وقالَ :

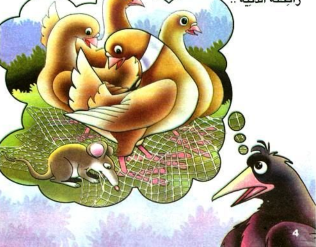
- إنَّ أَكْلى إيَّاكَ لَنْ يُغْنِى عَنِّى شَيْئًا ، وإنَّ مَوَدَّتَكَ وصَداقَتَكَ أَحَبُّ إلَىَّ مِنْ ذلك .. ولَيْس من الكَرمِ أَو الحِكْمَةِ أَنْ تَرُدَّنى خائِبًا ، خاصَّةً وَأَنَّنى رَأَيْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِكَ ، وجَميلِ فِعالِكَ ما حبَّبَكَ إلَىَّ ، ورَغَّبَنى فيكَ ، فجِئْتُ أَطْلُبُ صَداقَتَكَ ..

فَقالَ الْجُرَذُ :

- وماذا رَأَيْتَ مِنِّى ، حتَّى تَسْعَى إلى طَلَبِ صَداقَتِى ؟!

فَقَصَّ عليه الْغُرابُ ما رَآهُ مِنْ قَرْضِهِ الشَّبَكَةَ ، وتَخْليصِهِ الحمامَةَ المطوَّقَةَ ورفاقَها مِنَ الأَسْرِ ، وخَتَمَ كلامَهُ قائلاً :

- وإنْ أَرَدْتَ إخْفاءَ ذلك ، فَإنَّ العاقِلَ لا يُخْفِى فَضْلَهُ ، وإنْ حاوَلَ إخْفاءَهُ فَلا بُدَّ أَنْ يَظْهَرَ كالْعِطْرِ الَّذى لا يُمْكِنُ أَنْ تَخْفَى رائِحَتُهُ الذَّكِيَّةُ ..



فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ إِنَّ العاقِلَ يَجِبُ ألا يَأْنَسَ إِلى عَدُوِّهِ ، خَاصَّةً إذا كانَ ذَكيًا مِثْلَكَ ..

وقَالَ الْغُرابُ :

ـ يَجِبُ أن تُدْرِكَ بِعَقْلِكَ أَنَّنِي ما جِئْتُ لِعَدَاوَتِكَ ، ولا قَصَدْتُ سِوَى طَلَبِ وُدِّكَ وصَدَاقَتِكَ ، فلا تَرُدَّنى خَائِبًا ، ولا تُصَعِّبْ عَلَيَّ الأَمْرَ بِقَوْلِكَ : لَيْسَ إلى التَّواصُلِ بَيْنَنَا مِنْ سَبِيلٍ ..

فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ وما الدَّليلُ عَلَى صِدْقِ ما تَقُولُ ؟!

فَقالَ الْغُرابُ :

ـ إنَّ الكريمَ يَسْعَى إلى مُصادَقَة الكريمِ وطَلَب مَوَدَّتِهِ ، واللَّئِيمَ

لا يُصادِقُ أحَدًا إلا مِنْ أجْلِ مَنْفَعَةٍ أوْ مَصْلَحَةٍ أو خَوْفًا مِنْهُ ، حتَّى يَتَّقِيَ شَرَّهُ وعَداوَتَهُ ..

فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ هذا صَحِيحٌ ..

وقالَ الْغُرابُ :

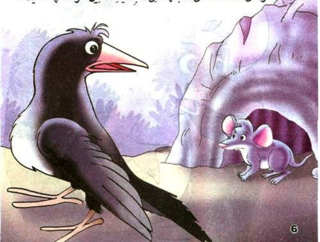
ـ ما دُمْتَ تَعْلَمُ ذلك ، وتُصِرُّ عَلَى رَفْضِ صَداقَتِى ، فَأنا مُلازِمٌ لِبابِكَ ، دُونَ أنْ أذُوقَ طَعامًا ، حَتَّى تُخْبِرَنى أنَّكَ قَبِلْتَ صَداقَتِى ومَوَدَّتى ..

فَلَمَّا رَأى مِنه الْجُرَذُ ذلك ، عَلِمَ أنَّهُ صادِقٌ ، فَقالَ لَهُ :

ـ لَقَدْ قَبِلْتُ أُخُوَّتَكَ وصَداقَتَكَ ..

وقالَ الْغُرابُ :

ـ ولكنْ ما مَنَعَكَ أنْ تَقْبَلَها مِنَ الْبِدايَةِ ، حِينَ عَرَضْتُها عَلَيْكَ ؟!



فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ إنَّما بَدَأْتُكَ بِما بَدَأْتُكَ بِهِ مِنْ صَدٍّ ، حَتَّى لا تَظُنَّني سَهْلاً سَريعَ الانْخِداعِ في النَّاسِ ، وإنْ أنْتَ غَدَرْتَ بي بَعْدَ ذلكَ ، لا تَقُولُ : لَقَدْ وَجَدْتُ الْجُرَذَ غَبِيًّا سَاذَجًا ، سَريعَ الانْخِداعِ ، سَهْلٌ صَيْدُهُ ..

وخَرَجَ الْجُرَذُ مِنْ جُحْرِهِ ، لكنَّهُ ظَلَّ واقِفًا عِنْدَ الْبابِ ، بَعيدًا عَنِ الْغُرابِ ، فَأَبْدَى الْغُرابُ دَهْشَتَهُ قائِلاً :

ـ ما الَّذي يَجْعَلُكَ تَقِفُ بَعيدًا عَنِّي هكذا ؟! هَلْ ما زالَ في نَفْسِكَ مِنِّي خَوْفٌ وشَكٌّ ؟!

فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ لا يَمْنَعُني مِنَ الاقْتِرابِ مِنْكَ سُوءُ ظَنٍّ بِكَ ، أو شَكٌّ في نَواياكَ الطَّيِّبَةِ نَحْوي ، وإنَّما يَمْنَعُني مِنْ ذلكَ أنَّني أعْلَمُ أنَّ لكَ أصْدِقاءَ ، وقَدْ لا يَكونُ رَأْيُهُمْ مِثْلَ رَأْيِكَ فِيَّ .. رُبَّما كانَتْ لهم أنْفُسٌ أمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، وهذا ما أخْشاهُ عَلَى نَفْسي ..

فَضَحِكَ الْغُرابُ مِنْ حَذَرِ الْجُرَذِ وقَالَ :

- إنَّ الصَّدِيقَ الْحَقَّ هوَ من يَكُونُ لِصَدِيقِ صَدِيقِهِ صَدِيقًا ، ولِعَدُوِّ صَدِيقِهِ عَدُوًا ..

فَقَالَ الْجُرَذُ :

- صَدَقْتَ .. هكَذَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الصَّدَاقَةُ الْحَقِيقِيَّةُ ..

وأَضَافَ الْغُرابُ قائِلاً :

- ولِتَعْلَمْ أَنَّنى لَيْسَ لى صَدِيقٌ إلا وسَيَكُونُ لَكَ صَدِيقًا مُحِبًا ، وأَخًا عَزِيزًا تَفْرَحُ به ، وتَأْنَسُ إليه ، وتَقَرُّ به عَيْنُكَ ، وإِنَّ مَنْ فَعَلَ غَيْرَ ذلك مَعَكَ قَاطَعْتُهُ ..

فَأَمِنَ الْجُرَذُ ، وتَقَدَّمَ مِنْ الْغُرابِ مُصَافِحًا .. وسَعِدَ كُلٌ مِنْهُمَا بِصُحْبَةِ الآخَرِ وصَدَاقَتِهِ ..





ومَضَتْ أَيَّامٌ ، والصَّدِيقانِ لا يَفْتَرِقَانِ ..

وذَاتَ يَوْمٍ قَالَ الْغُرابُ لِلْجُرَذِ :

- إِنَّ جُحْرَكَ قَرِيبٌ مِنْ طَرِيقِ النَّاس ، وأَنا أَخافُ أَنْ يُصِيبَكَ بَعْضُ الأَطْفَالِ بِحَجَرٍ ، وأنا أَعْرِفُ مكانًا مُنْعَزِلاً عَنِ النَّاسِ ، ولى فيهِ صَدِيقٌ مِنَ السَّلاحِفِ ، وهُوَ مكانٌ قَرِيبٌ مِنْ نَهْرٍ فيه كَثِيرٌ مِنَ السَّمَكِ ، ونَحْنُ واجِدُونَ هناك ما نَأْكُلُ ، وأنا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَلِقَ بِكَ إلى هناك ، حتَّى نَعِيشَ آمِنِينَ ..

فَقالَ الْجُرَذُ :

- هَيَّا بِنَا إلى هذَا المكانِ ، الَّذِى شَوَّقْتَنِى إلى رُؤْيَاهُ .. إِنَّ عِنْدِى قِصَصًا طَرِيفَةً سَوْفَ أَقُصُّهَا عَلَيْكَ عِنْدَمَا نَصِلُ هناك ..

فَأَمْسَكَ الْغُرابُ صَدِيقَهُ الْجُرَذَ مِنْ ذَيْلِهِ ، وطَارَ بِهِ فى الْفَضَاءِ ، حتَّى وَصَلَ إلى المكانِ ، الَّذى تَعِيشُ فِيهِ صَدِيقَتُهُ السُّلَحْفَاةُ الْبَرِّيَّةُ .. ثُمَّ أَنْزَلَهُ ..

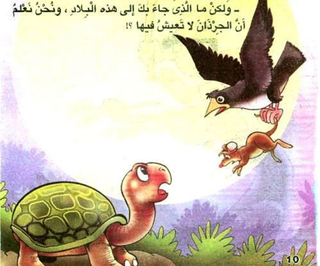
فَلَمَّا رَأَتِ السُّلَحْفاةُ الْجُرَذَ فَزِعَتْ منه ، لكنَّ الْغُرابَ طَمْأَنَهَا إلى أَنَّ الْجُرَذَ صَدِيقُهُ ..

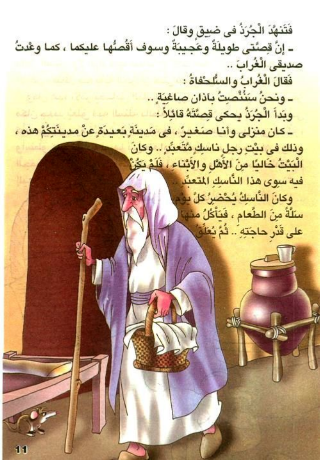
فَتَعَجَّبَتِ السُّلَحْفاةُ وسَأَلَتِ الْغُرابَ قَائِلَةً :

ـ ولكنْ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ، وكَيْفَ تَعَرَّفْتَ هَذَا الْجُرَذَ ؟!

فَقَصَّ عليها الْغُرابُ كُلَّ ما حَدَثَ .. ولما سَمِعَتِ السُّلَحْفَاةُ الْقِصَّةَ ، عَجِبَتْ مِنْ وفاءِ الْجُرَذِ وذَكائِهِ ، واجْتِهادِهِ فى تَخْليص أَصْدقائِهِ مِـــنَ الأَسْرِ .. ورحَّبَتْ بِهِ صَدِيقًا جَدِيدًا .. ثُمَّ سَأَلَتْهُ قائِلَةً :

ـ ولكنْ ما الَّذِى جاءَ بِكَ إلى هذه الْبِلادِ ، ونَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الجِرْذَانَ لا تَعيشُ فيها ؟!





فَتَنهَّدَ الْجُرَذُ فى ضِيقٍ وقالَ :

- إنَّ قِصَّتى طويلَةٌ وعَجِيبَةٌ وسوف أَقُصُّها عليكما ، كما وعَدْتُ صديقى الْغُرابَ ..

فَقالَ الْغُرابُ والسُّلحْفاةُ :

- ونحنُ سَنُنْصِتُ بآذانٍ صاغِيَةٍ ..

وبَدأَ الْجُرَذُ يحكى قِصَّتَهُ قائِلاً :

- كانَ منزلى وأنا صَغيرٌ ، فى مَدينَةٍ بَعيدَةٍ عنْ مدينَتِكُمْ هذه ، وذلك فى بيْتِ رجلٍ ناسِكٍ مُتَعبِّدٍ .. وكانَ الْبَيْتُ خَاليًا مِنَ الأَهْلِ والأَبْناءِ ، فَلَمْ يَكُنْ فيه سِوى هذا النَّاسِكِ المتعبِّدِ ..

وكانَ النَّاسِكُ يُحْضِرُ كلَّ يوْمٍ سَلَّةً مِنَ الطَّعامِ ، فَيَأْكُلُ منها على قَدْرِ حاجَتِهِ .. ثُمَّ يُعلِّقُ

السَّلَّةَ بِبَاقِي الطَّعَامِ على جدارٍ فى الْبَيْتِ ..

وكُنْتُ أُطِلُّ بِرَأْسِى مِنَ الْجُحْرِ ، حتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْبَيْتِ ، فَأَقْفِزَ داخِلَ السَّلَّةِ ، ولا أَتْرُكَ فيها طَعامًا إلا أَكَلْتُ منه ، ثُمَّ أَرْمِىَ بِالباقى على الأَرْضِ ، فَتَأْكُلَ منه بَقِيَّةُ الجِرْذانِ حتَّى تَشْبَعَ ، ولا تَتْرُكَ كِسْرَةَ خُبْزٍ ..

وكانَ هذا الأَمْرُ يُضايِقُ النَّاسِكَ كثيرًا ، فَأَخَذَ كُلَّ يومٍ يَبْحَثُ عَنْ مكانٍ جديدٍ يُعَلِّقُ فيه السَّلَّةَ بِالطَّعامِ ، حتَّى لا أَصِلَ إليها ، لكنَّنى كنْتُ فى كلِّ مَرَّةٍ أَبْحَثُ عَنْ حِيلَةٍ جَدِيدَةٍ ، حتَّى أَصِلَ إلى السَّلَّةِ ، وأَسْطُوَ على كلِّ ما فيها مِنْ طَعامٍ ، فَأُفَرِّقَهُ عَلَى الْجِرْذانِ ، وكانَ الْجَمِيعُ فى ذلك الْوَقْتِ أَصْدِقائى وأَحِبَّائى ، وكُنْتُ أَحَبَّ أَصْدِقائِهِمْ إليهم ..

وسكَتَ الْجُرَذُ قليلاً ، وكأنَّهُ تَذَكَّرَ شَيْئًا أَليمًا ..

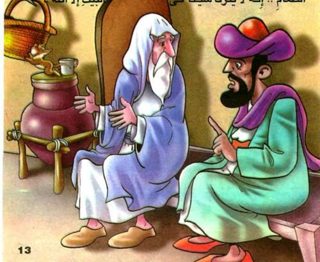
ثُمَّ قالَ :



وذَاتَ لَيْلَةٍ نَزَلَ بِالنَّاسِكِ ضَيْفٌ ، فَقَدَّمَ له النَّاسِكُ الطَّعَامَ ، وأَكَلَ معه ، حتَّى شَبِعَا ، فَقَامَ النَّاسِكُ وعَلَّقَ السلَّةَ على الْحَائِطِ .. ثُمَّ دارَ الْحديثُ بينهما ، فَقالَ النَّاسِكُ لِضَيْفِهِ : منْ أىِّ الْبِلادِ أَتَيْتَ ؟ وراحَ الضَّيْفُ يُحَدِّثُهُ عَنْ بَلَدِهِ ، والرِّحلاتِ الَّتى قَامَ بها .. وكانَ الرَّجُلُ قَدْ طافَ الدُّنْيا وشَاهَدَ عَجائِبَها ، واسْتَمْتَعَ بِغرائِبِها .. وفى أثناءِ ذلك أَخَذَ النَّاسِكُ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، حتَّى يُبْعِدَنى عَنْ سَلَّةِ الطَّعام ، فَغَضِبَ الضَّيْفُ منْ هذه الضَّوْضَاءِ ، وقَالَ مُخاطِبًا النَّاسِكَ : أنَا أُحَدِّثُكَ عمَّا سَأَلْتَ عَنْهُ ، وأَنْتَ تَسْخَرُ منِّى وتُشَوِّشُ علىَّ ؟! لماذا سَأَلْتَنى إذن ؟!

فَاعْتَذَرَ له النَّاسِكُ ، بِأَنَّهُ لم يَقْصِدْ ذَلِكَ .. ثُمَّ قالَ له :

إنَّما أُصَفِّقُ بِيَدَىَّ حتَّى أُخِيفَ ذلك الْجُرَذَ ، وأُبْعِدَهُ عنْ سَلَّةِ الطَّعَامِ .. إِنَّهُ لا يَتْرُكُ شَيْئًا فى الْبَيْتِ إلا أَكَلَهُ .



فَقالَ الضَّيْفُ والْعَجَبُ يَمْلأُ وجْهَهُ : جُرَذٌ واحِدٌ هو الَّذى يَفْعَلُ ذلك ، أَمْ أَنَّ هُناك جرذانًا كَثيرة ؟!

فَقالَ النَّاسِكُ : الْبَيْتُ مَلِىءٌ بِالْجِرذان ، ولكنَّ هَذا الْجُرَذَ الْعَنيدَ هو الَّذى غَلَبَنِى ، فَعَجَزْتُ أَنْ أَجِدَ له حِيلَةً ..

فَأَخَذَ الضَّيْفُ يُفَكِّرُ قليلاً .. ثُمَّ قالَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُحْضِرَ لى فَأْسًا ؟! فَأَحْضَرَ له النَّاسِكُ فَأْسًا ..

وقاطَعَهُ الْغُرابُ قائِلاً :

ـ وماذا فَعَلَ الضَّيْفُ بِالْفَأْسِ ؟!



فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ أَخَذَ الضَّيْفُ يَحْفُرُ جُحْرى ، فَقَفَزْتُ إلى جُحْرِ جَارٍ لى وَأَخَذْتُ أُرَقِّبُ ما يَحْدُثُ .. وبَعْدَ قَليلٍ عَثَرَ الضَّيْفُ على كيسٍ به مائَةُ دينارٍ ، فَأَخَذَها وأَراها لِلناسِكِ قائِلاً : هذا المالُ هو الَّذى كانَ يُقَوِّى قَلْبَ ذلكَ الْجُرَذِ ، ويَجْعَلُهُ يَقْفِزُ إلى سَلَّةِ طَعامِكَ .. لَقَدْ جَعَلَ لَهُ المالُ قُوَّةً ، وستَرَى أنَّه لن يَسْتَطيعَ الْقَفْزَ إلى سَلَّةِ طَعامِكَ مَرَّةً أُخْرَى ..

فَقالَتِ السُّلَحْفاةُ :

ـ وهَلْ حَدَثَ ما تَوَقَّعَهُ الضَّيْفُ ؟!



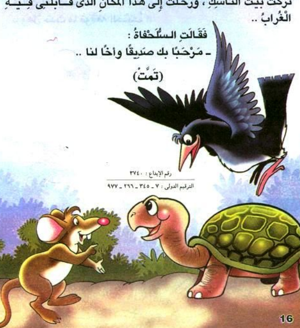
فَقالَ الْجُرَذُ :

ـ وحَدَثَ ما هُو أَسْوَأُ مِنْهُ ، ففى الْيوْم التَّالى اجْتَمَعَتِ الجِرْذَانُ حَوْلِى ـ كما كانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ ـ وَطَلَبُوا منِّى أَنْ أُحْضِرَ الطَّعَامَ مِنَ السَّلَّةِ ، فحاولْتُ الْقَفْزَ إليها أكثَرَ منْ مَرَّةٍ لكنِّنِى فَشلْتُ ، فَأَخَذَتِ الْجِرْذانُ تَسْخَرُ منِّى ، وانْصَرفَ الْجَميعُ عَنِّى وهُمْ يُرَدِّدُون : إنَّهُ أَصْبَحَ يَحْتَاجُ إِلى مَنْ يَعُولُهُ .. فَلَمَّا رَأَيْتُ ذلِكَ مِنْ أَعَزِّ أَصْدِقائى تَرَكْتُ بَيْتَ النَّاسِكِ ، ورَحَلْتُ إِلى هَذا المكانِ الَّذى قَابَلَنِى فِيهِ الْغُرابُ ..

فَقَالَتِ السُّلَحْفاةُ :

ـ مَرْحَبًا بك صَدِيقًا وأخًا لنا ..

(تَمَّتْ)



رقم الإيداع : ٣٧٤٠
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٣٤٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧